

### مسألة اللغات وإصلاح التربية: الواقع والاستلاب الفكري

طلالاً لفت علماء الاجتماع اللغوي انتياد السلطات العمومية حول استئصال وضع من القلق اللغوي والهويتي في البلاد جراء السياسات اللغوية والتربوية والثقافية والإعلامية التي يؤسف لها (انظر ع. دوراري القلق اللغوي في المجتمع الجزائري... دار القصة 2004).

أ.د. عبد الرزاق دوراري  
أستاذ التعليم العالي في  
علوم اللغة والترجمات



وحتى المدران عليها، فما عسانا ننظر من المتكلمين البسطاء الذين لا يفهمون على التعبير إلا بالجزائرية لما نجرهم ونفهمهم إلى الحديث بالعربية المدرسية ولا علاقة لهم بذلك -جمده وصفها بالمقدمة والنضيجة وبعد وصف لغتهم الأم بالمرضية - غير الأحساس بالقلق وبمركب التقصير خاصة لما يأتي هذا الوصف المتعالي من قبل أقرانهم ونظيرهم المترددة على شفتاهم.

تؤدي هذه الحالة المركبة بالجزائريين إلى وضع شبه ما يكون بالحجبة دفع بالجزائريين إلى ذم أنفسهم والأحساس بمركب القلق إزاء الشعوب العربية الأخرى الذين يتصورونهم أحسن منهم لأن عريتهم أحسن من لغتهم الجزائرية وكما نعد جزائريتهم عن عربية المشرق نكعد كذلك عن لغة المقدس واللغة "المشائية" وال"فصحجية"... فيؤدي بهم ذلك إلى أن يقتنوا لغتهم الجزائرية وأنواع تمازجت باعتبارها ناقصة مثلما يعتقدون أنفسهم؟

في الحقيقة يتي خطاب الهوية الذي تزوجه السلطة منذ الاستقلال على الشفائية عربية إسلامية وذلك دون أي اعتبار للواقع اللغوي والتاريخي للبلاد، كل الشعوب نبتي هويتها انسابا إلى تراثها الأمريكيين نسبة إلى بلاد المصيريين إلى بلاد مصر والجزيرة إلى بلاد النيل... لكن الجزائريين يبتونها في الخطاب الرسمي المهين على "العربية الإسلامية"، علما أن هذا التحديد لا يميزها عن الشعب السعودي واليبي والتونسي والعراقي، فالإي نوع من الاخلاص يدعونا مثل هذا الخطاب وما شأن الاخلاص المطلوب للدولة بلالة الجزائرية ؟ ما الذي يميز الشعب الجزائري عن غيره في هذه الحالة؟ يعتبر علماء الاجتماع السياسي والفلسفة السياسية أن الدولة لا تعدو أن تكون نحا الشعب وترب وحكومة مركزية برعية في العيش مما ومن لغة يتولد لها غايات هذا التعريف للهوية الذي يدعو للانتماء إلى شعب. سبق لنا أن يناقروا المجتمع الجزائري يعرف أربع لغات تتوزع وظائفها على النحو التالي:

عبر الصواب هو أن يصبح الجزائريون العدسات التي ينظرون منها إلى السوق اللغوية الوطنية والدولية التي تربطها حاليا الإدارة بتدخلاتها الرعنا. كما ينظر من الجزائريين أن يعطوا توجههم اللغوي وتحكمهم في اللغات الأجنبية قيمة إيجابية لأنه يساهم ليس لغة بل كرام، هذا ما سيفيد الشعب في تغييره وفي تفكيره وفي كينونه.

يسهل للجميع التحقق من هذا في الحياة اليومية كما يستبح ذلك بوضوح الشمس من القدام السويين والمغاربة والتونسين على دلجة أغلب المسلمات العربية (وهي تركية في الحقيقة) التي تشد أنصار ومتابعي الجزائريين والجزائريات بشغف ونقلوها إلى لغاتهم المحلية ويدون غفدة في حين لا يجرا الجزائريون على ذلك، ومع ذلك لا يستحي هذا الشبار الأيديولوجي الجزائري الرجعي والمتخلف والمتماض للإسكانية من معاتبة الناس بشدة أن هم افتخروا بلغتهم الجزائرية وأمازيغيتهم. أن خوضهم لفضاح المشرق جعلهم يهزغون إلى تكرار ذاتهم وسمخ هويتهم التاريخية التي يبدونها قريانا للرجعية المشرقية.

1) المستوى العمومي (المدرسية والمؤسسات الرسمية والديين والسياسة...) تهين عليها اللغة العربية المدرسية والفرنسية 2) المستوى غير العمومي أو الشخصي (بين الأسقاء والشعر والبيت، في السوق...) العربية الجزائرية ومختلف أنواع تمازجت محاولات السلطات الرسمية غيبة منها في تدوير الواقع اللغوي والاجتماعي الثقافي في قالب تصوراتها الوهمية للهوية تس سياسة لغوية للتعريب منذ سبعينيات القرن الماضي وادعت أنها ترمي إلى ميلاد جزائري جديد أحادي اللغة يتكلم العربية المدرسية دون سواها حتى ينمحي بسرعة أثر الفرنسية وتمازجت. كانت اللغة الفرنسية يقال عنها أنها لغة المستعمر يجب حذفها من الوجود لهذا السبب.

ومن ذلك أن أحسن اللغات الموجودة في الساحة الجارية التي تسمح بولوج مجال الفكر العلمي الحديث هي اللغة الفرنسية ثم تليها في المرتبة الثانية اللغة العربية المدرسية. أضحى أدب فترات الجزائريين على استعمالها ونظيرها في خدمة الكتاب والنجاح المعارف العلمية مباشرة من المصدر. ذلك أن الفرنسية تمازج برمودا فيها في المجتمع الجزائري يعيق القرنين من الزمن، وتتمازج كذلك بين علمي كبير بمسئله انه غامليه لإنتاج ونشر المعارف العلمية والتكنولوجية لا يقل شأنها في ذلك بكثير عن اللغة الإنجليزية لكنه بعد ما يكون عن المستوى الحالي اللغة العربية المدرسية التي تحتاج إلى عمل مضن يطول في الزمن لتتقن بالركب الفكري العلمي العالمي. أما عن تجذر الفرنسية في مجتمعا فتكفي أن نعد الجرائد والمطبوعات بشرى أولها والشعارات والرايو وعدد البيولوجيا المتوفرة مباشرة في أي مجال علمي وثقافي باللغة الإنجليزية. وبالتالي الفرنسية تتأكد من حقيقة هذا الأمر. لا يكفي أن نقرر باستعمال لغة معينة لكي تستعمل في المجتمع بطريقة متعديرة.

ينبغي في هذا المضمار ألا ننخدع من من إيديتهم الخيالية المناهضة للاستعمار فهي لا تعدو أن تكون خطيئة جوهرا لا لم تروهم ولم تر أسلافهم الإخوان المسلمين أوجعية العلماء الجزائرية التاريخية ولا مالك بن نبي سجلوا طيبا في الضلال ضد الاستعمار الإنجليزي في المشرق وضد الاستعمار الفرنسي المقيت في المغرب، فإن محاربتهم للغة الفرنسية بدعوى أنها لغة الاستعمار "وعدمهم على اللغة الإنجليزية في المقابل كأيها لم تكن يوما لغة استعمار هو استهتار وضحك على ذقون الناس. لن ننسى أن جمعية العلماء الجزائريين لم ينخرطوا في الثورة ضد الاستعمار إلا بعد 1956 ومكروهن لا لبطالا وأن من أقتنهم من الإعدام من قبل

ملل بليل ما



axam n anavi vi tamslyat aqv aslmv n tamazit\$

المركز الوطني للبيداغوجي و اللغوي لتعليم تمازيغت  
( وزارة التربية الوطنية )

# جريدة الخبر

01 أكتوبر 2016

2/2

ملمت لنظير بتاريخ الوطان الراسخ في الأمازيغية الإثنية والمترسطة منذ ما قبل التاريخ عكس ما كان يصعبه الخطاب الإيديولوجي الرسمي. أما العربية الجزائرية، فبذنبها عدهم أنها تؤكد بشكل لا يترك مجالاً للشك على خصوصية الشعب الجزائري قديماً إلى الشعوب العربية الأخرى فوجبه في منقطعهم أن تحض وأن تحاطب نوع من البس مع اهام الناس بأنها مجرد لغة (بمعنى فرع من أصل) من العربية المدرسية مع كون هذه الأخيرة (في مناسباتها لغة الحضارة والمقدس فهي مقدسة.

است أدري كيف يمكن للعربية المدرسية أو الكلاسيكية أن توصف بالمقدسة والجميع يعرف أنها كانت لغة آلي جهل وأبي نواس شاعر الخمرات ولغة ابن الروندي وابن الرواق وهما ملحدان معروفين (النظر تاريخ الاحاد في الاسلام لعبد الرحمن بدوي) ولغة الخوارزمي وهو عالم الرياضيات والكندي وهو يدعى فيلسوف العرب ولغة أبي حيان التوحيدي وابن مسكويه الذين يعرفان بانحراطهما في تيار الأدب (Humanisme)... وكانت العربية الكلاسيكية وورثتها المدرسية لغة فكر علمي وفلسفي ولغة حضارة عارمة استمرت على الأقل من القرن الثامن إلى القرن عشر الميلادي ولم تكن حصراً لغة بين علماء بأنه كان لهذا الدين تيار عقلائ معروف.

وكما يرتبط الشعب الجزائري بلغاته الأم (تمازيغت والعربية والجزائرية) يرتبط كذلك بالاسلام والثقافة العربية المتنوعة. فلا غربة في أن تلح مرارا على توفير الظروف المواتية للتحكم فيها تحكما يرقى إلى الجودة العلمية في مجتمعنا وذلك عن طريق اعادة صلتها بتراثها العقائدي والحضاري من الفكر والعلوم الحديث من جهة أخرى لعلها إلى أن تشرب على المستقبل لتتمكن من مساهمة اللغات الشريفة الأخرى الراسخة في حمل المعرفة العلمية. هكذا فقط يمكن فكها من الضيقة الخائفة التي تحكمها على عنفها التيارات المحافظة والإسلاموية.

محمد بنيس - المثقف والباحث المغربي - قام بتجليل موقف التسمية وعندها التقص التي تعزى موقف بعض الشعب السياسية والفكرية من المحافظين المعاريين إزاء أهل المشرق وذلك عن طريق تفكيك الثنائية الأندلسية والجزائرية "المرمكة" والحاشية حيث يبدو المشرق كمرکز بنيفي الاقتداء به. وقتنا نحن نعمل في رسالة الدكتوراه التي ناقشناها في جامعة الصرب سنة 1993 حول الخطاب الأيديولوجي العربي المعاصر بخصوص خطاب محمد عبد الجباري - المغرب - وحسن حنفي - المشرق.

يؤدي الميل الجامح إلى تقليد سلوكيات المشرق بأي فمن إلى الرضوخ له نوعاً من الاستلاب الفكري واللغوي وإزراء الذات. نلاحظ هذه الأيام عودة هذا الموقف المتخالف الذي يلج إلى جرد دار بعض العائلات التي تتأدى الأب "ابني بدلان من بابا" أو "بويبا أو فافا". والأهم تسمى "أبي بدلان من ماما" أو "بني أو ماما..."

وسع ذلك بعيد الجزائريون الكلام باللغات الجزائرية-تمازيغت يختلف تنوعاتها والعربية الجزائرية-وهم أحسن المتكلمين بها. فإن كانت التنوعات الأمازيغية قد ارتقت شأنها في المجتمع بغض الإجراء القانونية الأخيرة إلا أن العربية الجزائرية لم تنتق إلا الاحترار والتكرار بل الاجتماعي الذي نعيشه والصراع القائم في منظر لغوي محض. يعبر هذا

ومكرهين لا ابطلاً وأن من تقدمهم من الإعدام من قبل جهة التحرير الثورية هو عبان رمضان الذي يشكركونه اليوم شكر اللثام، ما بهننا هنا هو التوصل إلى الحقيقة التي ينبغي أن تحكم مواقفنا في المستقبل وليست تضفية حسابات ليست لنا بها أي صلة فلنترك مواقف الماضي للظروف المعاضة كما ينبغي أن نبين بأن الجميع، معارضة وسلطة، يشكون من مركب نقص إزاء اللغة الفرنسية إذ هم تحكّموا فيها أم لا على الرغم من موقفهم المصرح به الذي يبالغ في الاعلاء من شأن العربية المدرسية.

من بين ما ينبغي ذكره كذلك هو أن مسيرى الدولة على مختلف أطوارها يعانون من الفشر الفكري وضحالة الشفافة السياسية التي أدت بهم إلى إزراء الذات مصحوبة بنوع من التفكير حولها وفيها، من ثمة نفهم سبب تعاليهم عن المثقفين وفقمهم إذا مارسوا الانتقاد والشهد الطائفي الفردي أو الجماعي فيدفعون بهم إلى الهجرة (النظر عمر أكتوف، إما الزردة أو الهجرة) ليقروا على الجهل المقدس والجهل المؤسس ودار القمان على حالها.

ما رأيت شعوباً عوتبوا ودفعوا إلى إزراء هوياتهم الأصلية أكثر مما رأيت في الشعب الجزائري والأخطر هو أن يأتي ذلك من لدن مؤسساته ونخبه فإن كل معالمه الهوياتية والتاريخية والثقافية تعرض للإهانة والسخرية من قبل مسيريه ونخبه، يصرحون أن العربية الجزائرية لا ترقى لأن تكون لغة وهي مجرد تعابير مرضية وتشكوية لغوية مجرد لهجة دينية... أما تمازيغت، فهي أصوات مبهمة ككثيق الشوارع ملثما يصف أحد ابن فارس من اللغة الفارسية... ولا يدرون أنهم يدوسون على المبادئ الأولية لعلوم اللسان كما تعلمها أحدث النظريات اللسانية.

وهناك من جهة أخرى أشياء مثقنين جزائريين وأشياء سياسيين وطشيين يسبون شمعهم عن طريق الاستهزاء بلغاتنا الأم (تمازيغت والعربية الجزائرية) عن جهل وربما لا يدرون أن عدم اعترافهم بلغات الشعب والسخرية منها فإنهم لا يعترفون بسجور من الشعب الجزائري عينة هكذا أنه معروف أن جمعا من الناس لا يرقى أن يسمى شعباً إلا إذا كانت له لغة مشتركة تسمح له بالتواصل مع مختلف جهاته وفضائه المكونة له وحقل التعاون في ما بينه. أنظر أسطورة بابل وكذب الفيلسفة السياسية وعلم الاجتماع السياسي). فمن المرض لئن هؤلاء الأثرياء المتنافخين شرطاً أم الشعب الجزائري الذي يتنطق بطلاقة بلغته الجزائرية؟

أدت سياسة التنكر والتشتمل من الواقع إلى ترقية الفكر المحافظ المنزوي على نفسه كما أنتج "عشقة" الفكر والسلوك (سياسة التوحش) كما أدى إلى ميل نحو الفكر الأنزواني الانفرادي والصقوية اللغوية التي يطمح إليها أصحاب فكرة الشطال المجتمع والدولة الجزائرية. أن سياسة التنكر أدت إلى توسيع رقعة الاستلاب الثقافي واللغوي بما فيها عنفة التقص إزاء المشرق والغرب. هاجم في نظراً، خلفيات الخلاف اللغوي الاجتماعي الذي نعيشه والصراع القائم في منظر لغوي محض. يعبر هذا

ببطريقة سحرية.

ليس للغة الإنكليزية في الوقت الحالي تحدر في المجتمع الجزائري يسمح لها بأن تضاهي الفرنسية على الرغم من قوتها النسبية عالمياً، تلاحقها في ذلك اللغة الأسبانية مباشرة، فإنها تحتاج لهذا الغرض أكثر من خمسين عاماً من الجهد والعمل قبل تنتظر إلى ذلك الحين أم تدخل من الآن في حلقة الصراع العلمي والفكري بما عندنا من سلاح لغوي - الفرنسية - ونبدأ في تعلم الإنكليزية والأسبانية وغيرها ولننتج «أحدثون بهذه اللغة وبالعربية المدرسية وبتمازيغت والعربية الجزائرية وبالفرنسية كما بما أوتيت من قوتها لغوية فإلا ماتت من لدن، من ناحية ثانية ينبغي أن ننسى بأن الإنكليزية مثلها مثل الفرنسية، لغة المستعمر البريطاني في المشرق، ونرى أن أهل المشرق يعتمدون عليها الآن في مدارسهم وجامعاتهم ومحاكمهم لإعطاء دفعة قوية اقتصادياً لهم دون تعلم باعشر الحق الذي تحظى به هذه اللغة في المجتمعات الشرقية. فإن العبارة "لغة الاستعمار" الناتجة عن مصاب نفسي لن تجدوا هناك لا في الشانويات ولا في الجامعات... التي تدرس بالإنكليزية أو الفرنسية. بل هي أحياناً ملكية لبريطانيا أو الولايات المتحدة أو فرنسا.

إن الحساسية المفرطة التي تتملك أصحاب التيار الإسلامي إزاء الفرنسية لا تعدو أن تكون هروباً مقنعاً، إذ إن هذه اللغة لم تكن خشيمة حرب ضرورية فقط بل ووسيلة حرب ضد المستعمر كذلك بما أن أغلبية قادة الثورة المضفرة ونضوضها كانت مفرنسة. وإن ننسى بأننا لغة الفرنسيين أسدقاء الاستقلال الجزائري الذين استشهدوا من أجله مثل رفاقهم في السلاح الجزائريين.

تؤكد أن اللغات اليومية للشعب والهوية الجزائرية تتمثل في تمازيغت والعربية الجزائرية. ببشي حضورها مفتوحاً لانكساح مجالات تعبير أخرى. إن الأمة الجزائرية تستمد امتلاك هويتها الثقافية التاريخية واللغوية عن طريق اصلاح الثقافة والتربية والبحث العلمي وكذلك المجال الإعلامي وبهذه الطريقة تستقيم الأمة الجزائرية وتستعيد سؤودها كاملاً ويندون عدة إزاء المشرق أو الغرب فتتعاون مع كليهما بحساب مصالح أمثال غير. إن الخلاص من اللق اللغوي والهويتي ومن الاستلاب الثقافي، يقتضي بناء دولة شرعية ديمقراطية تنس على العواطفة النشطة يحكمها دستور يطبق ويحترم فعلاً. هذا بدوره يتطلب إعادة صياغة القصة الوطنية المعنوية على التاريخ والثقافة الحقيقتين وأن أجداننا منغمسون مثل جذورنا في شمال إفريقيا وليس في آسيا، مع احترامنا وصدافتنا للشعوب الأسيوية التي تجمعها بها أحياناً رموز نجلها. أن نعني بالجدور أسر مهم، لكن اهتمامنا بالأصنام - كما يقول الكاتب - لا يقل أهمية بل هو جوي هذا ما من شأنه أن يجمع بين القوى المختلفة لتسير في اتجاه مشترك لما فيه خير لشعبنا وامتنا الجزائرية.



axam n anavi vi tamslyat aqv aslmv n tamaziṭ  
المركز الوطني للبيداغوجي و اللغوي لتعليم تمازيغت  
( وزارة التربية الوطنية )